النشـــــــــــرة

تصـــدرها مطـــرانية الـــروم الأرثوذكـــس في بـــيروت

العدد ١٤ / ٢٠٠٠
الأحد ٢ نيسان
الأحد الثالث من الصوم
أحد الصليب
تذكار أبينا البار تيطس العجائبي

اللحن الثالث
إنجيل السَحَر الحادي عشر

الـــرســـالـــة (عبرانيين ٤: ١٤-١٦ ، ٥: ١-٦)
الإنـــجـــيـــل (مرقس ٨ : ٣٤- ٣٨ ؛ ٩ : ١)

+ أحد الصليب

«إفرح أيها الصليب الحامل الحياة، نصر العبادة الحسنة الـــذي لا يُغلـــب، باب الفردوس، ثبات المؤمنين، سرور الكنيسة، الذي به اضمحلت اللعنـــة وبـــادت، وانبلعت قوة الموت وارتفعنا عن الأرض إلى السموات، أيـــها الســـلاح الـــذي لا يقاوم، معاند الشياطين، مجد الشهداء وزينة الأبرار بالحقيقة، ميناء الخلاص المـــانح العالم الرحمة العظمى» (من صلاة الغروب).

لقد رتب آباء الكنيسة القديسون أن نقيم في منتصف الصوم، أي في الأحد الثالث من الصوم، تذكار الصليب المقدس المانح الحياة للبشر، من أجل تذكيرنا أن

هدف الرحلة الروحية التي نحن في منتصفها هو الوصول إلى السجود للصليب المقدس. الصوم هو فترة تهيئة للوصول إلى الأسبوع العظيم الذي يقف الصليب في قمته. إنه مقدمة طويلة (ستة أسابيع) لحدث فريد (الأسبوع العظيم) به حصلنا على الحياة والخلاص.

من يشارك في صلوات أحد الصليب يلاحظ نفحة الفرح في الترانيم. فهل من فرح أعظم من فرح الخلاص؟ قد يكون الصليب لأبناء هذا العالم وسيلة للتعذيب وللهلاك لكنه بالنسبة لنا، أبناء الإيمان وسيلة الخلاص ومصدر الفرح: «فإن كلمة الصليب عند الهالكين جهالةٌ وأما عندنا نحن المخلَّصين فهي قوة الله» (١ كور ١: ١٨).

شعورنا في هذا اليوم هو نفس الشعور الذي في ختام الأسبوع العظيم: الفرح بالخلاص. لذلك، عندما يوضع الصليب هذا الأحد في وسط الكنيسة وحوله الأزهار، لا بد لنا أن نتشدد ونتقوى لنتابع مسيرة الصوم بنشاط لأننا نعلم إلى أين سنصل ونحن على يقين بأن الرب المصلوب قائم من بين الأموات.

في الكنيسة الروسية، يوضع الصليب الكبير في وسط الكنيسة ، في هذا اليوم، ويبقى طوال الأسبوع، تشديداً منهم على أهمية الصليب في حياتنا.

يترك لنا الرب يسوع في إنجيل هذا الأحد (مر٨: ٣٤-٣٨ و٩: ١) حرية اختيار حمل صليبه أو رفضه: «من أراد أن يأتي ورائي فلينكر نفسه ويحمل صليبه ويتبعني» (مر٨:٣٤). من يحمل صليب الرب يخلّص نفسه، وهذا قد يكلّفه غالياً (أن يخسر العالم كله) ولكنه بالمقابل يريح نفسه. «ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم وخسر نفسه، وماذا يعطي الإنسان فداءً عن نفسه» (مر٨: ٣٦و٣٧). لكن ماذا يعني أن ينكر الإنسان نفسه ويحمل صليب المسيح ويتبعه؟ الجواب من الكتاب وهو أن لا تستحي بيسوع وبكلامه «لأن من استحى بي وبكلامي في هذا الجيل الفاسق الخاطئ فإن ابن الإنسان يستحي به متى جاء بمجد أبيه مع الملائكة القديسين» (مر ٨:٣٨). من لا يستحي بيسوع وبكلامه يحمل يسوع في قلبه وكلامَه في فكر ولا يتصرف إلا بوحي وصايا الرب. ينكر ذاته ليتجلّى يسوع فيه: «ينبغي أن ذلك يزيد وأني أنا أنقص» (يو ٣: ٣٠) .

أن تنكر ذاتك وتتصرّف بحسب وصايا يسوع قد يجلب عليك ويلات الناس وشتائمهم وسخريتهم. هذا هو صليبك. أن ينكر الإنسان نفسه يعني أن يتغرّب عن

كل ما اعتاد عليه وما يظنه الناس الصواب. المهم أن تتبع يسوع بعدما تنكر ذاتك لأنك قد تتبع أفكار أو عقائد أخرى.

سوف يوضع الصليب في وسط الكنيسة وسيُطرح علينا السؤال التالي: هل سنكون مثل بيلاطس؟ إن بيلاطس رغم يقينه أن يسوع بريء: «إني لستُ أجد فيه علَّة واحدة» (يو ١٩:٤)، لم يستمع إلى صوت ضميره بل «أخذ ماءً وغسل يديه قدام الجمع قائلاً إني بريء من دم هذا البار» (متى ٢٧:٢٤). هكذا نحن نغسل ضميرنا من أشياء كثيرة تجري حولنا وقد نستطيع عمل الكثير. بل وقد نصرخ «اصلبه، اصلبه» مع الجموع التي شفى يسوع مرضاهم. كم مرة نصلب يسوع في اليوم؟ نبادله الشر بدل الخير الذي يعطينا إياه. نبيع ضميرنا بحفنة من المال، ب«ثلاثين من الفضة».

الصليب أن تحمل وصايا يسوع وتعلنها أمام الملأ دون خوف. لا يحق لك أن تتنحى جانباً كما فعل بيلاطس. إذا كنت تخاف الناس اليوم فكم بالحري يجب أن تخاف من يوم الدينونة.

سوف يوضع الصليب أمامنا وعلينا أن نختار. هل سنكون مثل بيلاطس الحاكم الجبان ويهوذا الخائن والكتبة حائكي المكيدة والشعب الناكر الجميل، أو هل سنكون مثل حاملات الطيب والنسوة اللواتي رافقنه إلى القبر، واللص الذي صرخ اذكرني يا رب متى أتيت في ملكوتك؟

أحد الصليب مناسبة لنا لنتامل السر العظيم، سر خلاصنا، فتتوضح الصورة بالنسبة لنا ونأخذ القرار بحمل الصليب وأتباع يسوع. من يفكر في الخلاص الذي سيحصل عليه يوم الدينونة يهون عليه حمل الصليب: «ان نيري هين وحملي خفيف».

«لصليبك يا سيدنا نسجد ولقيامتك المقدسة نسبّح ونبارك، لأنه هوذا بالصليب قد أتى الفرح لكل العالم».

+ البار نيكيتا

تُعيِّد الكنيسة المقدسة في الثالث من نيسان لتذكار أبينا البار نيكيتا الذي جاهد في حياة النسك والفضيلة، واحتمل العذابات والمشقات دفاعاً عن الإيمان القويم.

ولد القديس نيكيتا في أواسط القرن السابع في مدينة قيصرية في بيثينيا، وقد توفيت والدته بعد ثمانية أيام من ولادته فأسلمه والده إلى عمته لتربّيه وقرّر الترهب في أحد الأديرة. ربته عمته تربية مسيحية صالحة ووفرت له دراسة العلوم.

خدم الكنيسة منذ صغره ولم يكن يهتم باللعب مع رفاقه بل كان ينكب على قراءة الكتاب المقدس. وكان معروفاً برصانته واحتشامه ولما صار شماساً قرر ترك العالم واختبار حياة النسك.

تتلمذ أولاً على يد أحد النساك قرب قيصرية. وبعد فترة اختبار أرشده الناسك إلى دير ماديتسيوس الذي كان قد أسسه القديس نيكيفوروس. هناك ثابر نيكيتا على الصلوات والأصوام وأعمال النسك وحفظ الوصايا، وأشتهر بقناعته وصدقه وطاعته، حتى أنه كان مطيعاً ليس فقط لرؤسائه بل لمن لا سلطان لهم عليه، وكان يتمم ما كان يُطلب منه كأنه مفروض عليه من الله نفسه.

بسبب فضائله أخذه رئيس الدير بأمر الطاعة إلى القسطنطينية وألزمه أن يقبل رتبة الكهنوت عام ٧٨٥، وأن يتسلّم رئاسة الدير.

ذاع صيت نيكيتا فتقاطر طالبو الترهب إلى الدير وفاق عدد رهبانه المئة. عين نيكيتا الشماس أثناسيوس للاهتمام بأمور الدير الزمنية لكي ينصرف هو لمتابعة شؤون الرهبان الروحية، فكان يجتمع بهم جماعياً نهاراً ويرشدهم، ويستقبلهم على انفراد ليلاً لسماع اعترافاتهم، كان يأكل خبزاً وماءً فقط، وبمقدار ما كان قاسياً على نفسه كان سموحاً وعطوفاً في تصرفاته مع الغير. وقد منحه الله نعمة طرد الأرواح الشريرة وشفاء المرضى.

ازدادت أثقال أتعابه بعدما رقد معاونه أثناسيوس ومؤسس الدير القديس نيكيفوروس. فقد طالب به الرهبان رئيساً وحيداً عليهم. رفض نيكيتا الأمر فرفعوا مطلبهم إلى البطريرك القسطنطيني الذي ألزمه بقبول المركز.

حياة الصلاة والجهاد الروحي التي كان يحياها نيكيتا كانت ترجمة عملية لإيمان ثابت في قلبه لا يتزعزع حتى أمام أقسى الصعوبات. بعدما استلم الحكم الملك لاون الأرمني عام ٨١٣ تجدد الاضطهاد على المدافعين عن تكريم

الأيقونات، وأرسل البطريرك القسطنطيني مع عدد من الأساقفة والرهبان إلى المنفى، وأقيم مكانهم أساقفة هراطقة. كذلك أحضر الملك لاون رؤساء الأديار وبينهم نيكيتا، إلى القسطنطينية، وأخضعهم للعذابات المريرة والإهانات. ولما رأى الملك أن نيكيتا لم يرجع عن إيمانه أرسله في فصل الشتاء القارس إلى المنفى في إحدى القلاع في أناطوليا سيرا على الأقدام.

بعد فترة وجيزة أعاده الملك إلى القسطنطينية وجمعه مع البطريرك الهرطوقي بحضور رؤساء الأديار الآخرين. قدّم البطريرك اعتراف إيمان ملتبس رفضه نيكيتا، لكنه، نزولاً عند رغبة باقي رؤساء الأديار، قَبِل أن يشترك في القداس الإلهي مع البطريرك. وبعد القداس أطلقهم الملك لكي يعودوا إلى أديارهم.

ندم نيكيتا في تلك الليلة على فعلته وبكى عليها، وقرر السفر إلى البرية ليمارس التوبة. قصد ميناء المدينة ليركب إحدى السفن، إلا أنه فكر في نفسه أنه يجب أن يصنع التوبة حيث سقط في الزلة. رجع إلى الملك معلناً له اعتقاده القويم، واستعداده تحمل كل العذابات. أرسله الملك إلى جزيرة القديسة غليكارية (لأن جسد القديسة كان في هذه الجزيرة) وسجنه في مكان مظلم ولم يكن يُسمح له إلا بقليل من الخبز ليقتات به. ذاع صيت قداسة نيكيتا في تلك الجزيرة رغم وجوده في السجن، وصار الناس يستغيثون باسمه عند وقوعهم في الصعاب. وكان الله يستجيب لصلواتهم بشفاعة نيكيتا، حتى أن بعض الأشخاص نجوا من الغرق عندما استغاثوا بالله باسم نيكيتا.

بقي نيكيتا محبوساً مدة ست سنوات، لغاية عام ٨٢٠ عندما قُتل لاون وخلفه الملك ميخائيل الالثغ الذي أطلق الأساقفة والرعاة المدافعين عن الأيقونة. لم يرد نيكيتا العودة إلى ديره بل انفرد متنسكاً في مكان قرب القسطنطينية، عائشاً في الوحدة وراحة الضمير ، معتنياً بالمساكين وفاعلاً الخير. بقي هناك إلى أن رقد بسلام عام ٨٢٤. نقل الرهبان جسده المقدس إلى دير ماديتسيوس حيث دفن باحتفال مهيب، وكان ضريحه مصدر أشفية لكثيرين. فبشفاعته اللّهم ارحمنا وخلّصنا آمين.

+ تأمل

نُقيم اليوم عيداً احتفالياً لرفع سيدنا يسوع المسيح على الصليب فلا تعجبوا من احتفالنا بعيد ذكرى لحوادث مؤلمة. لقد كان الصليب سابقاً إسماً للقصاص الشديد. أما الآن فهو اسم

للفخر والاحترام. كان الصليب سابقاً أداة للعار والعذاب فأصبح اليوم أداة للمجد والشرف. وهذا ما نتأكده تماماً من كلام سيدنا يسوع المسيح الذي أسمى الصليب مجداً : " والآن مَّجدني أنت يا أبتِ بالمجد الذي كان لي عندك من قبل كون العالم " (يو ١٧: ٥) إن صليب يسوع المسيح رأس خلاصنا ونبع الخيرات التي لا توصف. بواسطة الصليب حُسبنا في عِداد خراف الله نحن المنبوذين سابقاً ، وخرجنا من الضلال، وعرفنا الحقيقة. بواسطة الصليب عرفنا مخلّص الكل نحن الذين كنا نعبد الأشجار والحجارة. بواسطة الصليب توصَّلنا الى حرية الصلاح نحن عبيد الخطيئة سابقاً. الصليب أنارنا نحن الجالسين في الظلمة. الصليب حرّرنا من الأسر. الصليب صيَّرنا جنوداً في السماء نحن الغرباء. هذه الخيرات كلها قدَّمها لنا الصليب. إذاً يحق أن نقيم له عيداً احتفالياً. ولهذا يوصينا بولس الرسول أن نعيَّد قائلاً: " فلنعيَّد لا بالخمير العتيق ولا بخمير السوء والخبث بل بفطير الإخلاص والحق " (١ كور ٨:٥).لماذا يأمرنا الرسول المغبوط أن نعيّد لأجل الصليب ؟ لماذا صار الصليب سبباً للعيد ؟ إن الرسول نفسه يقول :" فأنه قد ذُبح فصحنا المسيح " (١ كور ٧:٥) ، على الصليب قُدمت الذبيحة ، وحيث الذبيحة تكون مغفرة الخطايا. هناك المصالحة مع السيد، هناك العيد والسرور. فالحق أن الصليب هو عيدنا وسرورنا لأن فصحنا المسيح قد ذُبح عليه.

أتريدون أن تعلموا تأثيراً آخر للصليب يفوق كل عقل بشري ؟ اليوم فتح الصليب باب الفردوس الموصَد وأدخل اللصَّ فيه ! كيف يقدر المصلوب المسمَّر على الصليب أن يَعِدَ بالفردوس ؟ اسمعوا ما يقوله الرسول شارحاً هذا: " فإنه وان يكن قد صُلب عن ضعفٍ لكنه حيٌّ بقوة الله" (٢ كور ٤:١٣). ولكي لا نقع في اليأس إذا نظرنا الى صفة الصليب يرينا المصلوب قوته وهو على الصليب، انه ما أقام ميتاً ولا خاطب بحراً ، بل جذب بقوّته روح اللص الشريرة. إن محبة سيّد السموات العليا وخيراته لا يقدر على وصفها أي لسان. إن الدخول مع السيّد لأشرَف من الدخول الى الفردوس ! ماذا فعل اللص حتى استحقَّ فجأة أن يدخل الفردوس وهو على الصليب ؟ إنه نظر بعين حقارته وبأيمان الى المصلوب فعرف السيّد السماوي ووبَّخ نفسه بكلمات موجزة تبيَّن منها أنه يستحق الفردوس : أما نحن فبعدل لأننا نلنا ما تستوجبه أعمالنا . وأما هذا فلم يصنع شيئاً من السوء ، وبعد هذه الكلمات تجاسر أن يطلب منه : " اذكرني متى جئت في ملكوتك " (لوقا ٤١:٢٣). قل لنا أيها اللص كيف تذكَرت الملكوت ، ماذا رأيت الآن ؟ فأمام عينيك المسامير والصليب والتهمة والاستهزاء والنميمة. فيجيب أن الصليب عندي علامة الملكوت، لذلك تراني أُسمّي المصلوب ملكاً لأني أراه مصلوباً ولا يموت عن الرعية إلا الملك كما قال : أنا الراعي الصالح والراعي الصالح

يبذل نفسه عن الخراف " (يو ١٠:١١) . نرى الملك الصالح قد بذل نفسه عن رعيته ، ولذلك أصرخ إليه كمالك : اذكرني متى جئت في ملكوتك.

أتريدون أن تعلموا كيف أن الصليب صار شعاراً للملكوت، وكيف انه تمجّد ؟ لقد أخذ السيد الصليب معه وأدخله الى السماء وسيأتي به معه عند مجيئه الثاني. إسمع ما يتلكّم المسيح المخلّص عن هذا : من المعلوم أنه سيأتي المسيح الدجَّال قبل مجيء السيد المسيح الثاني. ولكن لا ينغشّ أولئك الذين يفتّشون عن المسيح قال السيد : " إنني أُبينّ لكم العلامات عن مجيء الراعي : فمثلما يخرج البرق من المشارق ويظهر في المغارب كذلك يكون مجيء ابن البشر من السماء " (متى ٢٤: ٢٧ –٣٠) إنها لعلامات ساطعة تفوق العقول. الشمس تظلم والقمر لا يعطي ضوءه. الكواكب تتساقط . وفيما بعد سيأتي وحده حتى نعلم أن نوره اشدّ بهاءً من نور الشمس ، وضياءه أشدّ من ضياء القمر. فكما أن الجنود تتقدّم الملك حاملة شاراته ومبشّرة بقدومه ، هكذا عند مجيء المسيح الثاني ستتقدّمه جنود الملائكة ورؤساء الملائكة حاملين شارات المسيح مبشّرين بقدوم الملك الذي تتزعزع أمامه قوات السماء. لماذا يأتي المسيح ومعه الصليب ؟ حتى يتأكد الذين صلبوه حماقتهم وجهلهم. وإذ تظهر علامات ابن البشر ستهتزّ المسكونة لكلها لأنها سترى من يكشف الخطايا. وهل من عجب إذا جاء المسيح مع الصليب ؟ إنه سيأتي وآثار جراحه ظاهرة كما يشهد نبي الله : " فينظرون إليَّ أنا الذي طعنوه " (زكريا ١٢:١٠). فكما أرى جراحه للرسول توما حتى صدق أنه حقاً قام سيرنا أيضاً جراحه وصليبه حتى يُظهر لمن صلبوه أنه حقاً ذلك المصلوب. أجل ان هذه لنعمة عظيمة وشهادة واضحة لمحبة الله للبشر آمين.

القديس يوحنا الذهبي الفم